

سكاكين أليفة

نوزاد جعدان

سكاكين أليفة

شعر

الإهداء

إلى وطن يتقن صناعة المقصّات جيداً

ولا يتأثّق

هل تسمع طرطقة أصابعي

وهي تقطع من ثوبك آخر خيط زائد

الذي كثيراً ما كنتُ أتسلى بسحبه ولفه على سبابتي

أمام خطب باعتك الحادة

أنا "اللا مدعو" إلى أفراحك يا وطني

كانت حفلاتك يا وطني شهية للسواح والغرباء
حتى معالمك الأثرية
أنا اللا مدعو إليها
مع أني كنت آتيك بريطة عنق فخمة
وبيدي باقة ورد
لا أعرف عدد قلاعك ولا طعم حفلاتك الشهية
أسأل السواح عنها
الذين يعرفون أيضا أيضا
أن الوطن فرح وأن بلادنا جميلة
أنا الجاهل عنها
مع أن بيدي باقة ورد وحذائي ملمع
وكما قلتُ لك، أرتدي لأجلك بدلة رسمية
وعند كل قصر هناك
وعند كل جدار من قلاعك التي يزورها السواح
رائحة عرقنا
ولكن يا وطني الحلو الحلو
لماذا تجرّنا معصوبي العينين
نحن اللا مدعوون إلى أفراحك

وبيدنا باقات الزهور

إلى سجون قلاعك

2

خذلنتني كل أشجارك يا وطني

لذا وقفتُ أمام أول صياد

لا يصوب بندقيته باتجاهي

بل يأخذني إلى قفص من أقفاصه

ربّما يهديه لحبيبتة ، وأنا أشدو لوطني

وهي تتذكر صيادنا

3

عينك الحلوتان الدائريتان

تتسياني كل أختام المخالفات في سجلي الوطني

يدك التي كقطعة بسكويتٍ مدوّرة تلك التي يحبّها الأطفال

تمسك يدي كي أكتب بها

لا بيدي

يد القمر المدوّرة كيد معلمة مدرستي

تتدلّي كل يوم كي أمسكها

وأمسح عن سبورة السماء كل هذا الليل

ربما أجد طريقاً إليك

مع ذلك ، وكل ذلك ، بقيتُ فقط أدور حولك

حتى أصبحت مخالفة يومية ارتكبتها

4

تعرّى الحزن يا عفرين
ومرّت على جبالك الكثير من الثلوج
ولكنها ذابت
وبقي البلوط في عيوننا أخضر وحلوا
ومرّاً جداً على خيول العدو

5

نعم، أصبحت كطرزان
بلا جواز ولا وطن
مع فارق بسيط أني لا أملك غابتي
فقط وحش تتقاذفه أقباص المدن
وترشقه بالحجارة السفارات

6

الليل في قرיתי خيمة عزاء كبيرة للقمر
مع كل يوم يضيء قبر

7

ما زلت هنا
أخطئ بكتابة شباط بدلا من فبراير
وأؤمن أنه شهر التكاثر

نعم يتكاثر الحزن القديم
كلما أخطئ بالكتابة
وأحسب نفسي غير غريب عن وطنه

8

سأغير أسماء شوارعك يا وطني
وأخلعها عنها
تماما كما أخلع قميصا ضيقا عن رقبة طفل
وأطلق أسماء الشهداء عليها
وأیضا أيضا
أستبدل العملة النقدية
بصور عليها وجوههم
ولأن عدد الشهداء أكثر من شوارعك يا وطني
فسأبدل اسمك أيضا

9

دسّْتُ الكثير الكثير من الصفحات
فقط لأنتقم منك
ولكن
تبقين دائما تلك الصفحة البيضاء
وأنا عبثا أحاول الانتقام
هكذا بكل ما أكتب

تعبنا من مشاكلك يا وطني تعبنا
 أيها الطفل المشاغب
 تعبنا أن نكتبَ عنك
 دعنا نكتب بهذا الشكل
 أن أحب فتاة مشاغبة
 وأشاغب معها في شارع مشاغب
 دون أن نتكلمَ ونذكر مشاكلكَ
 كي أكتب لها ولو مرة واحدة فقط
 نصا مشاغبا

أنا خائف نعم خائف
 أصابعي تحوّلت إلى سكاكين
 ليلة أمس، أمسكتُ الدفتر
 فانفردتُ كل صفحاته بين أصابعي
 ولم تتوقف عيني عن الدموع
 وأيضا أمسكتُ بشجرة زيتون
 فتقطعتُ
 مسحتُ على رأس طفل يتيم
 فامتلأت أصابعي بالدماء
 حتى في المطبخ

لم أعد أحتاج إلى سكين
أنا خائف
وخائف عليك أيضاً
أن أكتب نصاً عنك فأتحرك بأصابعي

٢٠١٨ -٢ -٩

أرمني الأحجار وأقول عصفيري

1

وهذا المساء أيضاً
تطفئ ضوء غرفتك
كي تراقب الظلال من تحت عتبة الباب
آه كم يحب الموتى هذا الممر الطويل
وأنت مع كل هذه العتمة
تضحك ولا تلمع سوى أسنانك الكبيرة
كهيكل عظمي

2

سأقول لك الحياة حلوة
هكذا كما تريد أنت
الحياة حلوة كخاتم حلو استعصى بالإصبع ويأبى الخروج
كصدفة لا مهمة لها
سوى إيقاظ البحر من غفوته الطويلة
هي لا تعلم أن الشباك قادمة
وأيضاً أن الشباك تكون حلوة حين تتزين بالسّمك الحلو
وخاصة خاصة

حين تمر بيدي صياد فقير في هذا الشارع الطويل
الحياة حلوة هكذا
كحديث عابر مع بائع الحلوى تحت مصباح مكسور
عن أفخاذ النساء الحلوات
سأنتفق معك دوماً
وأقول الحياة حلوة
تماماً كما تلتصق صورة بطريقٍ حلو على ثلاجة لجثث الموتى

3

أنا لا أخاف الغابة
ولا الأشجار
ولا..
ولا...
لكنني أخاف جداً
تلك التي تركتُ كل أشجار الغابة
وجلستُ تحت شجرتي
عندها أخافُ من ظلها
فأنا شجرة رسمها طفل على دفتر رسم كبير
ولكن نسي رسم ظلها

4

الصور تملُّ أيضاً
لذا حاولوا تغيير أماكنها دائماً
من جدار إلى جدار
من باب إلى باب
من خزانة إلى خزانة
من ثلاجة إلى ثلاجة
المهم لا تتركوها وحيدة لفترة طويلة
كي لا تعتاد على المسامير

5

أبي لا يطوي ناصية صفحات كتبه
التي لم ينته منها
و يعود إليها بعد حين
أبي لا يحب طي الصفحات
لذا يضع بتلة وردة بينها
ومنذ ذلك الوقت
تنمو في قلوبنا الأزهار كلما مررنا قرب كتاب

٢٠١٧ -٧ -٩

لم يكن في قرينك بحر

لا أحد

ولا شيء يعود كما كان

تقولُ لنفسك وأنتَ تراقب النوارس هنا

تلك التي لم تعتد عليها

لم يكن في قرينك بحر

تستعدُّ للقادم وتعرف جيداً أن أيلول شهر البكاء..

سيأتي الشتاء بدون أمي

تلك التي كانت تقوم من "السفرة" قبلنا كي يكفينا الطعام

كبحر جائع يطعم كل نوارسه...

والشتاء كئيب بدون سجادتها الحمراء التي تخشى عليها

من كل تلك الأوساخ التي نجلبها من شوارع هذا العالم

وبدون طقم فناجينها التي تخاف عليها مثلنا

الشتاء بارد بدون دفء حساء العدس

وكتب أبي التي يزهر الزيزفون في وسطها

سيأتي الشتاء يا أمي

وسأجلس كنورس تائه على البحر

لم يقف يوماً إلا على الينابيع

ولم يعد فكّه قويًا
ينتظر أن يمر طفل مشاغب يصدّم نفسه بحوض أسماك الزينة
كي يلتهم كل تلك الأسماك التائهة مثله ، ، ،

٢٠١٦ -٨ -٣٠

توحيد مقامات الكسور

ماذا تركتم من خبز الوطن
لحودي يمرُّ بعربته المثقلة
يشترى منكم الخبز اليابس المعلق على مسمارٍ بخاصرة
الشرفة
ويبيعه كي يشترى طعاماً لحصانه...
ماذا تركتم من قمح الوطن
لعصافير تعودتُ أن تقف على شرفة عجوزٍ تطعمها كل صباح
عجوزٍ خرجتُ من بيتها تبحث عن الطيور
وعندما وجدتها لم تجد الخبز في يدها....
ماذا تركتم من رائحة خبز الوطن في الصباح
نشرتُم كل أحذيتكم السوداء على الرصيف
ولم يبقَ مكان كي يبردَ عليه خبز الوطن
ماذا تركتُ من قمح البلاد
وأنتَ هنا تنبذ الحياة
الحياة الحمراء والكبيرة كتفاحة تنهش منها دودة كبيرة
تبدلُ كل يوم مصباحاً محروقا من قمرها
تحاولُ توحيد مقامات الكسور

وتزور وطنك وحارتك في "غوغل إيرث"
ترجع وببيدك صحيفة سوداء
وتعود جائعاً كما كنت بدون رغييف الوطن

٢٧ -٤ -٢٠١٦

كثيرا ما أمشي في الحافلة..

شمس حارة في حافلة كئيبة
أمشي فيها ولا تمشي هي
تعطس الريح وتبحث عن ثقب في النافذة
عن الغبار الذي تكدس في صدر طفل
النافذة عالية ويدك قصيرة
تبحث عن وجه أبيك الحزين
الذي يبحث عن منديل في جيب بدلته
التي كانت تحمل قوت البيت
وحبات السكر عند باب المساء
لتعود وتمشي في الحافلة
تبحث عن ظلك حين كانت الشمس الحلوة تلعب معك
تجعلك تركض وراء ظلك الذي ما عاد إلا وراءك
الشمس الحلوة التي كنت تسرق نورها
كي تبقى أخضر كالعشب
تتعجب من زهرة عباد الشمس حولك
وهي تلد أطفالا سود للشمس الشقراء
ولا تغضب

تسير في الحافلة وتبحث عن حلم في حافلة لا تسير
تمسحُ علم الوطن من الغبار
ولم يجف الوحل عن ثيابك بعد
تسير حزينا كديوان شاعر في بيت تاجر
كصفارة في فم شرطي
تبحث عن التذكرة في جيبيك لتتفقد رقم المقعد
ولا تجدها
تلطم جيبيك
وتتذكر، قد صار عندك محفظة تخبئ فيها أشياءك
تبحث عن ذلك الفرع الذي يعتري الطفل على سيارة
بلاستيكية
يضع قطعة نقود ليتحرك هو ولا تتحرك هي
سيأتي العيد قريبا.. يقول زميلك في المقعد
ولكنك لم تنزل وتشتري الحلوى
ولم تقص أوراق الرزنامة
حينها أفكر بالنزول في الحافلة الممتلئة
كي أعطي مكاني لشخص يريد شراء الحلوى لأولاده
كأي أغنية هابطة تعجب سائق الحافلة وتبدد ألم السفر
أبحث عن وجه أمي البشوش
أمي التي تبحث عن إبتسامتها في محطة الحافلات
تجلس على كرسي خشبي
تقف وتضع نظارتها حين تلمح شابا على ظهره حقيبة

ولأن الصدى ظل الصوت
والظلال تختفي في حافلة تعج بالركاب
يقول لي زميلي بالمقعد:
أحب السفر
والبحث عن امرأة تستمتع بصوري القديمة
وتضحك معي
ثم تنظر إلي وتقول لي ما زلت وسيما يا فتى
فأقول له: وأنا مثلك كنتُ أحب السفر
ولكن ركبتني أصبحت خشنة
وأبدا أبدا لا أحب السفر الطويل..

٢٩ - ٦ - ٢٠١٦

نهر هوايته جمع الأغصان الميتة

لا أحد حولك أيها النهر النحات
لذا تجد نفسك تتفنن بحفر وجه الصخور
كي تمدّ يدك وتشرب من هذا العالم العطشان
تبتلع الحصى ولا تترك شيئاً سوى جوارب أغصان الشجر
تلك الأشجار التي داست على وجهك الحاي في
لا أحد حولك فاعبر كل تلك الوديان
كأي رحالة سافر بدون وجهة
وترك حقيبتة في البيت ومضى
هناك خلف الجبل الكسول المستند على مزلاج غيمة
أشعل مصباحاً في بيوت أصدقائه القدامى
ولم يفتح الباب عليهم تركهم كما يشاؤون
لا أحد حولك أيها النهر الراعي
وأنت تتمايل كالمزمار لقطيع الغيوم
وتبيع الحليب لكل الجوعى الذين يحومون حولك
وعندما يخونك قطيعك مع ذئب الشمس
تبقى هكذا لا تجد أحداً حولك
سوى حصى خسنة تقول لك :
لم يكن أحد هنا

وأنتُ
كنتَ جميلاً ماذا فعلتَ بنفسك؟
لا أحد حولك يا صديقي النهر
وأنا أيضاً مثلك لا أختلف عنك
أبتلع الكثير من الحجارة
وعندما أشبع أجمعُ الأغصان الميتة....

٣ - ٦ - ٢٠١٦

خبز أمي

لم يكن يوماً خبز أمك محروقا
لذا لا تتم وأنت حزين
ما زالت الرياح تلتزقه وتحمل البذور
كامرأة وسط السوق في شارع الحمراء
تتسوق مع أطفالها ويدها المكسرات
توزع بذور الفرح
دع الحزن يفلت منك كأبي سمكة تعود إلى نهرها
خذ منه غطاء وتدثر منه
واعطه كل سكاكين مطبخك
لا تتم وأنت حزين
كي لا تتجمد كل ينايبعك
وتعطش العصافير
ويتوقف الندى عن تسريح شعيرات
أكواز الذرة في تلك الحقول
كن أنيقا ومرتبيا كأولاد المدرّسات
واستقبل النهار الذي يتقدم بسرعة
وكل الأسواق تكتظ بالناس
وتتخلص الشمس من كل البخار الذي يحيط بوجهها

كأي امرأة خرجت لتوها من دكان الزينة
لا تتم وأنت حزين
ما زلت تملك الكثير من النجوم كي تنام تحت سماءها
وتحصيها مرارا
أطلق كل الخيول التي في صدرك
وادخل كوخا تنام فيه

٢٠١٥ - ١٠ - ٩

لا حكم عليه

أمي التي كانت لا تنادي أبي باسمه
إلا في الحروب
أنا في عينيها شاعر كبير
تراني أوسم رجل في العالم
مع أن قامتي قصيرة وشعري لم يكن يوماً أشقراً
ولكي تراني جيداً تقترب من شاشة التلفاز
وتقول لأبي: ابني شاعر كبير
أمي التي لا تعرف ما القافية ولا قصائد النثر
تصفق لي عند أي كلمة أقولها
حتى وأنا أخطئ في النحو
أمي الأمية التي ليس لها سوابق في سماع الشعر
ولا تفهم ما أقصده
تقرأ جيداً كل ما أعيشه من نبرة صوتي
وتعرف أنني أطمئنتها بضحكتي وبدلتي الرسمية
مثل ورقة «لا حكم عليه» تغفو في جيب مجرم

فرصة لا تتكرر

أبي الذي قال لي الفرصة لا تتكرر
و الخبز بارداً حين ترحل الأمهات
لأبي قلوب عديدة
لا ينفخ التراب إذا اقتلعت أزهار القلب
البحار الذي زرته هذا الصباح
عندما كان البحر كأغنية تبحث عنها منذ زمن
قال لي:

البحر لذة وإغراء والأسماك الزاهدة لا تعيش
وحدها من تناور الطعم تعيش قلوبها
حكمة البحارة أن تغني وأنت محاصر
في عرفنا حتى لو انتشرت المجاعة لا تشو على ظهر القارب
الراعي الصغير الذي مرّ بقطيعه قرب بيتنا في سالف الزمان
قال لي والجرس المعلق على رقبة الخروف الأبيض أمل دروب
القرية:

أربي القصص الصغيرة وأجمع الخراف البيضاء لعلها تكبر
وتملأ سهلنا الأخضر
أما أنا كبرتُ يا أبي أصبحت أقرض النظريات

ولم أعد أشرب الحليب
أصنع مكنسة من أوراق الشجر
وأنظف شوارع المدينة حين تنتشر جردان الطاعون

٢٠١٣ -٦ -١٢

قمر يكشف عتمتي

لأي قمرٍ أكشف عن كل عتمتي
وأقول: أنا أسود جدا
كتلك الشامة على وجهك الأبيض
فتبتسم لعتمتي
كحقل من البندورة في قرينتا
يعتني به صاحبه
فلا يغيب عيد الحب عن فساتين حقوله
عندها

تفرق كل الأنهار
وترتفع سحابة بيضاء إلى عتمتي

لأي قمرٍ أكشف عن كل عتمتي
وأقول:

لا جدائل لليل في عتمتي
كي تتدلى منها الفوانيس
وأنى لم أعد كالماء أتكلم وأحوم كثيرا
أقفُ كحجر أدمى قدم شخص

فرماه على ضفة النهر
عند جذع شجرة سنديان قرمزي
يتلمظ ثمارها قطيع ما عز أسود
ويعزف على مزماره راعٍ حرامي

لأيّ قمرٍ أكشف النقاب عن كل عمتي
وأنا أخاف من كل سحابة بيضاء تظللها
أن تكشف كل القصص التي تخبئها
أن توقظ كل تلك الغمامات غرقى عمتي

٢٠١٥ - ٨ - ١٠

مشهد أوسع من حاويات المدينة

علبة مربى فارغة في حاوية المدينة
تراقب التمثال الذي جمع كل العصافير حوله مرة أخرى
بعد أن اصطاد كل عصافير غابتنا
ببندقية التي لم يقف عليها الغبار يوماً
تقولُ لكل تلك الحقول التي أنهكها الجراد
كمتسابق انسحب من منتصف المضمار
لن نضع من ثمارك مربى
بل سنوزع المشمش على كل أولاد الحي
ونخبرهم: هذا هو المشمش الذي تشاهدونه في التلفاز
قولي لأشجارك لا تخجلي من الشمس
لن يبقى ظلك قصيراً...
الظلال تكبر بسرعة
علبة مربى فارغة تربي الغبار في حاوية المدينة
يمر بجوارها طفل نحيل كعود شعير
يضمها إلى كيسه الكبير بحجم صخرة ضخمة
يحاول وضع يديه في جيوبه الممزقة
ينتظر كي يمتلأ كيسه بالعلب الفارغة

في هذه المدينة الفارغة إلا من الحاويات
ربّما يشتري علبة مربى من البقال
الذي يزين دكانه بطريقة مزوّقة
ويطرد الطفل الذي كلما حدّق في المشمش، يسأله:
ما هذا؟..

٣٠ - ١٢ - ٢٠١٥

لا محل له من الإضراب

ولأنه كان يمضغ قطعة سكر كبيرة
لم يكن له محل من الإضراب
ولأنه لم يكن يملك دفتر رسم كبير
ولا علبة تلوين
لم يتعلم الرسم
فقط كان يقف عند سلة المهملات
هكذا في الصف مهملًا ومعاقبًا
كي يكون لمعلمة الرسم
لوحة جديدة في دفاتر الطلاب...
ولأنه كان معاقبًا دائمًا كان يخاف من الإضراب
ولأنه كان أقصرهم
لم يرَ المشهد كاملاً
تسلق على كتفه الكثيرون
ولأنه كان أصغرهم
لم يحظَ بجاهٍ ولا وريثة
بل ورث حبَّ أمه
وخوفها عليه كلما مشى في الإضراب

وأكل من لحم يده
عندما لا يملك قطع سكر في جيبه
هكذا أصبح
كسمكة على علبه سردين
كثور على علبه مرتديلا
لا يهمله من يأكل لحمه
أو ان يأكل من لحمه
ولأنه ما زال يسير في الإضراب
ولا محل له منه
ويضغط على أسنانه كي لا يصرخ
أصبح يعرف أحجامهم وأشكالهم وطبقات صوتهم
ويعرف كل الأماكن التي يتوقف فيها كي لا يختنق
يضع طاسة نحاسية واحدة
كما كان كل أهل قريته يشربون
من طاسة نحاسية واحدة
وقتها فقط
لم تكن تنتشر الأمراض ولا الأوبئة
ولأنه لا محل له من الإضراب
يخرج قطع سكر كثيرة من جيبه
ويمضغها وسط الإضراب
لا لشيء ولكنه تعب من الصراخ

وسمع مرة في إضراب كبير
أن السكر يعيد جمال الصوت...

٢٠١٦ -٤ -١

مناديل

كل ما في الشارع مناديل
حتى في السماء تلوح المناديل
ما في الشارع قناديل
ولم يعد بائع الكستناء كما كان يقشر عتمة الطريق
أصبح يبيع المناديل أمام المطارات والجبانات
وفي أوقات الفراغ يوزعها أمام حمامات الغرباء
ينتظر البقشيش كي يشتري عكازا جديدا
لم يبقَ شيء كما كان
لا أنت ولا كل ما حولك
حتى أنت لا تضعين تلك الزهرة التي أحبها على شعرك
كان كل شيء جميلا
كتلك الألوان على زجاجة البيبسي
ولكن كيف أصبحت تلك الشجرة التي رمت فستانها على
وجوهنا
كي لا تنام الشمس بعيداً عن أحاديثنا
مجرد منديل ورقي
يمسح أصواتنا من كل تلك الأراجيح التي علقناها على أغصانها

كعيون الأطفال لا أخبئ حزني..

وكنْتُ أفكرُ بزيارة قريتي
لكنَّ هذا العام قد رحل خالي مَنَّان
في قريتي التي مات فيها الكثيرون مثله
خالي الذي كان يقدُّ من قميصه المناديل
عندما يتعرى الحزن في ليل القرية
يقول:

ما أجمل الفقراء
الفقراء الحلوين بثيابهم المهلهلة وأحذيتهم الموحلة
تفرِّجوا عليهم يا عالم
الفقراء سكرَّ العالم
خالي الذي كان يزورنا بعد ساعة من الآن
هذا مواعده وأنا أحب مواعيده
يمسك بيدي ويقول لي
نحن والحيتان خبزنا الأسماك
والقرية التي أصبحت كبيرة جدا كحوت
أكلت كل أسماكها
خالي..

ما زالت راحة يده على يدي
وأنا الآن أكتب بيده لا بيدي
خالتي مَنان الذي يحبني ويحبّ المَنان
يصبح قاسيا كاللوز
إن تأخرنا عليه في مواسم الربيع
يسأل زوجته كل صباح متى يعود الجمعة
كي نجتمع ويزورنا الأولاد
يسألني لماذا ابتعدت الشمس عنّا
وأنهارنا كل يوم تفيض على حبل غسيل ثيابنا
أحدّثه عن صديقي الإفريقي والشمس في بلاده
صديقي الذي يسألني عن الثلج في قريتي كل يوم
فأحكي له عن انتحاره مرارا على حقلنا
وكلما ينتحر نضع له تمثالا أبيضاً
ولكنه أبدا لا يموت مرتين إلا حين تمرّ عليه شمس غربية
خالتي الذي لا يخبئ حزنه كعيون الأطفال
ماتت البارحة
والقرية أصبحت تقصر المسافات أكثر نحو الألم
والقهر يُولد في مساء القرى
القهر عقرب انطوائي لا يعيش إلا في السكون ، ، ،
وأنا كل يوم أتجرع لقاحات ضد السموم
مع ذلك البارحة سممّني عقرب كان يربيه خالتي مَنان....

العيد

البارحة كان العيد
وبالأمس الأمس كنا سويا
كانت الشمس تسخن قرص قلبينا
ونحن نبتلع ريق الصباح بفنجان قهوة
وبالأغاني المكررة
سألتني حين حل المساء
وأنا أحاول أن أبتلع قلبي من فنجان قهوتي
لماذا تسقط كل النجوم
حين ننظر إليها من قمة جبل؟
ماذا لو زارنا الحزن في العيد
ونحن لا نملك سكرا كي نسقيه كوب شاي
ولا حلوى في البيت؟
ماذا لو أضع الذئب غابته ودخل ساحة المدينة
يلحقه الأولاد وكلاب المدينة
فضمرت أنيابه
هل يقف أمام قطّ بأئس
ينبش أكياس القمامة
قمامة المدينة التي لا تنتهي؟

لماذا لا تتطهر الحيتان بكل هذا الملح
وتترك قتل الأسماك؟!
لماذا هذا القرش يحاول أن ينشر جسد البحر
هناك الكثير من النشارة في قلب هذا البحر
الكثير
لا ينقصه سوى عود ثقاب كي يحترق؟!
ولأنني أصبحت كبحر مالح جدا
اشتاق لقوارب الصيادين
و ليس عنده سوى حلزونة مسالمة ينتهك ذاكرتها مرارا
أمدّ ذراعي حولها
وأحاول أن أبتلع قلبي مرة أخرى
من فنجان قهوتي

٥ - ٩ - ٢٠١٥

كي لا تعتذر للقتلى

وكي لا ترى الموت من بعيد
لا تملأ رثتيك بالهواء كثيرا
ولا تقل للمطر اعتذر من التراب
حينما دسّ وشاحه بالطين
اغلق نوافذك عندما تطبخ أمك الحساء
كي لا يشتمّ اليتيم
ولا تضحك بفك كبير
كي لا يتحسس العجوز طقم أسنانه
لا تحمل حقائب مدرسية ملونة
ولا دفتر رسم كبير
كي لا تغار يد الطالب الفقير في الشتاء
ولا تترك الرغيف على الرصيف
لا عصافير في فك هذا الوطن
أمّا أنا لن أعتذر لك عن كل شجاراتنا
كان شجارا جميلا كشجار العصافير
طويلا كشجر الحطابين
وأنتُ أعرف جيدا أنك رائع جدا
وأنا أغار منك

لكن عندما تكتب منشورا تصف به حبّها لك
إحذفني من قائمة أصدقائك
كي لا تعتذر للقتيل

٢٠١٦ -٢ -٢٤

حالات اليوم صباحا

1

اليوم صباحا الجدار حزين
بعد أن سقطت تلك اللوحة التي كان يفتخر بها
تحطّمت على الأرض..
المسمار اللئيم لا يسقط أبداً

2

أمّي التي كانت تتظف سجادة بيتنا كل يوم
تجرّها إلى السطح وتضربها بعصاها
كي يرحل كل الوسخ الذي جلبناه من هذا العالم
أمّي لم تعد تضع السجّاد

3

اليوم صباحا أكلتُ على جريدة
كانت صورة صديقي الميت عليها
كان يقرأ من عيني وكان كما كان
لم يتغير أبدا
كما تركته آخر مرة

4

لو كنتُ أعلم أنكِ سترحلين مبكراً
كنتُ تصورتُ معكِ في كل الأزقة
أمام كل الأسواق والمتاحف وكل ما في المدينة
كسائح يرى المدينة لأول مرة
فيتصوّر أمام كل حجارتها وحمّاماتها

5

ماذا سنقول لكل تلك الأمهات اللواتي مشين حافيات
على ثمار البندورة كي يصنعن الدبس
ويطعمن كل الجنود الذين داسوا بأحذيتهم السّود
على أيدي أبنائهن
ماذا سنقول لهن
وهنّ كل يوم ينتظرن أن تعود تلك الصينيات الفارغة

٢٠١٥ - ١٢ - ١١

لا يتقن شيئاً سوى الضحك

في غرفة واحدة كنتُ ننام
وبيننا ينسل الوطن ونغطيه بلحافنا
نحكي له قصصاً كان قد نسيها
ونخاف على أصابعه في الليل
أن يدوس عليها أحدنا وهو يتجه إلى بيت الخلاء
أي خلاء تركته أيها الوطن الواسع
في الصباح، حين لا يستيقظ الوطن معنا
ويبقى يخذلنا بعد سهراته الماجنة
يقول لنا أبي: كن كأبي بحر عملاق يستجدي غيمة كبيرة
كي تعيد الحياة إلى قدميه ويمر بدون جناحين فوق رأس المدينة
حتى لو ملأت وسادته فقط رئة الهواء
ويتجدد كل هذا الطين الناشف
إصنع آلاف الطائرات الورقية كي يؤمن الأطفال في مدينتنا
مازال هناك طائرات مؤدبة
ولكن يا أبي، باب الوطن ليس كما كنت تقول
هممتُ بإدخال المفتاح في ثقب الباب
تساقطت منه الكثير من حمالات المفاتيح
هكذا سريعاً.. كتتابع صواريخ السكود على صدر المدينة

كانت الغرفة مظلمة جداً .. لا ضوء يتمدد تحت العتبة بعد عتمة

متعبة

فقط وجوه وهياكل عظمية تضحك

ولا يبدو منها سوى أسنانها في هذا الممر الطويل المظلم

تفصدت عرقاً متهتهاً أمام درفة الباب

وخرجت وأنا أضحك بصوت عالٍ جداً

وهنا بدأت نوبة ضحكي

رموني خارج السينما وأنا أشاهد فيلماً حربياً

والجريمة أنني أضحك مراراً

أضحك وأنا أشاهد جثة طفلة رضية يخرجونها من بين

الأنقاض

كما انهالوا علي بالضرب وأنا أضحك وأتناول غدائي

أشاهد مجزرة عنيفة حدثت في الحي الذي يجاورنا

حين رأيت جارتنا التي لم تكن تعرف المرارة أبداً تسبح بدمائها

وهي تحضن أولادها الموتى..

ضحكت وأنا أشاهد جمال الموتى الحلوين..

رموني إلى العتمة.. ولكني مازلت أضحك

كهيكل عظمي لا يبدو منه إلا أسنانه،

كوحش لم يعد يستمتع لا بالشمس ولا بالقمر

بعد أن قطعوا كل أشجار غابته،

هكذا لم يعد يؤله شيء

فقط يضحك حتى لو قطعوا كل أشجار العالم

أو مزّقوا جسده بألف طلقة
س يبقى هذا الوحش يضحك ويضحك حتى تمتلأ عيناه
بالدموع،
ربّما وقتها فقط، تتظف كل الغبار الواقف أمام غابته
وربما تحيلها وحلاً وربما تدفن الأزهار فيه
ولكن سيظل يضحك في عتمته كوعل لا يعرف الوجل
أمام هذا العالم المجنون الذي لا تهطل فيه الأمطار إلا بعد
احتراق الغابة

خيوط بيضاء في ثيابنا السوداء

أمي التي لا ترتق ثيابنا إلا بالخيوط البيضاء
حتى السوداء منها
لا تعرف أردوغان، فقط حين تسمع به
تقول إنه شيطان كبير
تتسوق من بازار "عقرين" يوم الأربعاء
وترجع على ظهر جرّار يعج بالفلاحين والفلاحات
وحين تصل إلى البيت نحوم حولها
وتلتئم نساء القرية
ويبدأن بتكسير و تخليل الزيتون
وهنّ يسردن الحكايات..
أمي التي لا يصنّف الزيتون في قلبها أبداً
تحبّ سماع "أوسبي شار" بصوت "جميل هورو"
أمي لا تكره أحدا لكنها تكره أردوغان
تتصحننا: احفظوا أشجار حقلكم
الجراد هذه الأيام يتحد
كالذباب الممتد على شخص استحم لتوّه
ولأن أمي لا تنام إلا عندما تسمع صوت مفتاحي في قفل الباب
سنعود إليها ونقتل كل الجراد الحائم حول حقلنا

حتى لو قطعوا علينا كل المبيدات الحشرية
سنسحقها بعصا جدِّي المركونة في زاوية البيت
جدي الذي رحل ذات ليل
يسألني الأصدقاء الغرباء هنا
ما عفرين ؟!
الدنيا عفرين
وعفرين أمِّي

٢٠ - ٢ - ٢٠١٦

لا ترو لي طرفة لم نعد نضحك

تغير أبي كثيراً
كل يوم يجلب لنا الحلوى كي نبتسم
ويعدنا أن يزوّجنا بنساء جميلات
بعد أن كان الموضوع عيباً كبيراً في البيت
أبي الذي تغير كثيراً
يحضر لنا كل يوم دمي بأشكال مختلفة
نصفها
نضربها
فقط عندما ننام نضعها قربنا
أبي الذي لم يعد يضحك
يروى لنا طرائف معادة كي نضحك
ويشتري المجلات القديمة كي نحل الكلمات المتقاطعة
ونبتسم ويعرف أننا لا نضحك
كي لا يسقط طقم الأسنان الاصطناعية
وكي لا يشعر أن أولاده فقدوا أسنانهم
أبي الذي لم يتجرأ يوماً أن يفتح فم أحدنا
ويحصي كم من الأسنان يحمل..

لأنني كنت أقصرهم لم أر المشهد كاملا

ولأنني كنت أقصرهم لم أرَ المشهد كاملاً
اعذريني لا أستطيع قص ما حدث
لذا دعي هذا الطويل الذي بجانبك يحدثك عن الفرح الطويل
حين حرق عكّازه ودفناً بها أولاده
اعذريني إن لم أنم الليلة على سريري ذي الغطاء الأزرق
عندي الكثير من الأحلام للأيام القادمة
كمطمورة طفل ليست فيها سوى قطعة معدنية واحدة
يهزها مرارا هكذا رأسي الآن
لن أزعجك بصوت البندقية التي أطلق منها بدون هدف
لا كي أجدش وجه هذه السماء الزرقاء التي لم تعد تغطينا
ولا كي أصطاد تلك العصافير التي نست ريشها في وسائدنا
الحزينة
بل لأنني اشتقت للأعراس والعيارات النارية..
ولأنني أقصرهم و لم أرَ المشهد كاملا
سأربط حذائي جيدا
وأنا غاضب من هذا الازدحام الثقيل وليس من هذا الوطن
فحذائي ثقيل

وركبتي تؤلمني من الوثب العالي
والمشهد لا يشي بأي شيء مشمس
لا شيء سوى الريش على الرصيف
وأنت تحاول الطيران أو تجد شخصا أقصر منك
كي تصعد على رقبته وتصنع من نفسك بطلاً
وتهتف: لا لهذا الجوع الطويل ..
ولأن جميعهم أطول مني لم أرَ المشهد كاملاً
اكذبي علي وقولي لن تضيع في هذا الازدحام مرة أخرى
ولن تشعر بالاختناق
وكل شيء سيكون كما نحب
اكذبي هكذا كما كانت تفعل أُمي
حين كانت تمسح على جبينني
وتقول : غدا سيشترى لك أبوك خفاً رياضياً
ولن يطردك أستاذ الرياضة مرة أخرى من الحصة
لن تقف هكذا منبوذاً تراقب الطلاب، وهم يلعبون الكرة

أغني كي يستيقظ الجيران

1

جدتي التي كانت توزع الحُبَّ في البيت
كما كانت توزع الحُبَّ على الدجاج في القن
كانت تقف معنا في طابور الصلاة الطويل
عندما يموت كل شيء
تقول وهي تأخذ الخيوط من كنزاتنا الصوفية القديمة
كي تحشي بها مخدات الضيوف:
لا تدفنوني تحت ظلال الأشجار
أخاف العتمة منذ أن أغلق جدك النوافذ علينا
وفي الليل
حين ظلت سجادة صلاتها على الأرض
وغابت جدتي عن صلاة العشاء
تعرفتُ على الموت لأول مرة
كما أتعرف على ماركة جديدة من العلكة
رسمتُ سجادة صلاة جدتي في كل حصة رسم
على دفتر الرسم الكبير
صنعتني المعلمة مرارا

وأنا أبتسم كالأبله لها
ضربتني كثيراً
حتى أنني لم أعد اقرأ الفاتحة
وأخاف عند سماعها
على قبر جدتي الراقدة تحت ظل شجرة معتمة

2

تتحني أمام حبال الغسيل التي أمامك
تراقب الخيول التي لم تتحرك من اسطبلها
مع أنك أسرجتها وأطعمتها
تبقى في مكانها ساكنة تراقبك
وأنت تركض أمامها

3

تحاول غسل كل ثيابك
وتترك كالعادة قميصك الأزرق
الذي لم تغسله يوماً
قميصك ذو العطر الريحان
الذي لم تقص بطاقة السعر من عليه بعد

4

تقتل من تشاء
وتحيي من تشاء
على هذه المقبرة كل يوم
و تعود كإله نادم

5

ولأنني قبل أن أخرج من قريتي
قطعت الكثير من الشجر
تحولت أصابعي إلى عيدان كبريت
تحرق أوراق الدفتر
بالمناسبة ، من أي غابة أوراق هذا الدفتر

6

لم أعد أتألق
ولا أنتعل حذاء رسميا مثلث الرأس
منذ أن قلدتُ ذلك الأنيق ومشيتُ وراءه
فسقطتُ على وجهي الأنيق

في أمس

لم أمسس الفجر الأنيق

الفجر الأنيق كحقيبة طفل في الصف الأول

ولأن الهواء لم يدخل الغرفة

أصبحت ركبتاي خشتين جدا

ولأن هنا لا إسكافين كي أرتق حذائي عندهم

ولا وجه أمي وهي تصنع المربي من أزهار الختمية

شعرت بالحزن الشديد

رحت إلى البقال بركبتي الخشنة

إشترت علبة مربي ورميت حذائي القديم

رصيف حارتنا

رصيفُ حارتنا ناعم
كنتُ أسقطُ على وجهي كثيرا ولا تصاب جبهتي
هنا الجروح عميقة
أمي أنا أجرح نفسي كثيرا
ولكن لا تقلقي
بعد ساعة سيهطل المطر
هكذا قالت مذيعة النشرة الجوية
وأن البحر ذلك البائع الفاشل في بيع زجاجات مياهه
لن يبتلع قواربنا المحملة بالعطش
سيشبع
وذلك النهر الذي لم تعد تغريه سيقان المدينة
سيعود إلى قريته محملا بفرقى خساراته
لن يخطئ أبدا في قراءة الفاتحة على قبر أصدقائه
أمي الأرصفة هنا خشنة جدا
وأنا كلما أجرح نفسي أغني للحياة أحبك
الحياة الخائنة كامرأة
تحبها وتعرف أنها تنام مع غيرك
الحياة الخرساء كدمية على وسادة طفل

هنا الأرصفة خشنة
وأنا كالغبار المنثور الذي تركته وراءها شاحنة
مضتُ بسرعة جدا
أُدنسُ كل البياض الذي حولي

٢٢ - ١١ - ٢٠١٥

أه لو كنت ابنك

أه لو كنتُ ابنكِ
الذي تخافين عليه حينما يحبو أن يسقط على وجهه
وعندما تحممينه
تخشين أن يدخل الشامبو عينيه
تتفدين له كل رغباته
وتكذبين عليه مراراً وهو يصدقك
وحينما يحزن
يصبح وغداً وينثر كل ألعابه في الغرفة
وأنتِ تجمعينها مراراً
وتحضنينه كلما صرخ
وعندما يشتد البرد في الغرفة
تغطينه بثوبك الدافئ
على عظامه التي كثيراً ما رماها في المدفأة
تلبسين جورباً قطنياً لقدميه
كي لا يتوقف على أصابعه البعوض الجائع
ابنك الذي يقف الذباب على وجهه
ولا يطرده
ينتظر أن يشتم عطر يديك

وأنت تلوحين أمام عينيه
وهو كندل صغير بيتسم حتى عندما يفقد أسنانه الأمامية
آه لو كنتُ ابنكِ
الذي لا تسعده كل عرائس العالم
حين تبعدين عنه دقائق

٥ - ١١ - ٢٠١٥

جميل كشجار العفاير

كنتَ بسيطاً جداً تغريك مباراة كرة قدم
أو شراء قميص برتقالي جديد تفتن به النساء
قبل أن تصبح شجاعاً لا تخاف الظلام
تنام في العتمة
ولا تخشى الموتى
لم يكن هذا هو الليل الذي تبحثُ عنه
كنتَ تغني عند كل كوخ من القصب
عن حكايات السمك الطويلة
حين كان جارنا كجزيرة خاوية في هذا الفضاء
مع ذلك يعيش
يصطاد السمك ويشويها على نار من قشور البلوط
ويطعمها كل قليل
الكثير الكثير من القصب الجاف
كان طعم القصب في حنجرته حاداً
لم تكن هذه هي الشمس التي تبحث عنها
فما زالت كل قمصانك على الشرفة مبللة
ولم تسمع صوت خطوات أمك على الدرج
تهرع قبل المطر

ولم تخرج أسماكك من بحيراتك المتجمدة
ربما تطعم كل القطط الجائعة
ربما تتحرك هذه الساعة
ساعة الحائط التي نفذت بطايرتها
تحت ظل هذه الشمس اللئيمة
كنتَ بسيطاً جداً قبل أن تصبح شجاعاً
لا تخاف الموتى
وتخاف جداً من البشر
الذين ينسجون الأكفان ويبيعون التوابيت بالنقود
لتنام في العتمة حينها ساعات وساعات
دون أن تفكر بإشعال مصباحك المغلق لساعات وساعات

٢٠١٥ - ١١ - ١٥

استراحة

1

لكم كل قاعات وميكروفونات المنابر
ولي كل شوارع وجدران المدينة...
لكم كل أشواك وسكاكين المطاعم
ولي سندويشة فلافل أتناولها مع حبة مخلل على الرصيف...
لكم كل بدلات المدينة الأنيقة ولي ثياب مهلهلة ومعطف وحيد
ألبسه لحبيبي إن بردت
لكم كل دكاكين الزهور ولي وردة أسرقها خلصة من
الحدائق...
لكم كل السيارات
ولي كل باصات المدينة التي أركبها بدون بطاقة
وحين يأتي المفتش أقفز من الباب الخلفي..
لكم كل غرف الفنادق والحجرات النجومية
ولي تحت ظل شجرة قبلة مسروقة

بكت كل طالبات الجامعة في الطريق
ومسحن دموعهن بتانيرهن القصيرة
حين أصبح سائق حافلتهم "أجير ميكرو"

٥ - ١٠ - ٢٠١٥

أغنام جدتي

جدّتي التي صبغتُ أغنامها بالحناء
لم أكن أعلمُ يومها أن الخرفان تتبرج
أو ربما كي تغطي فروها الأشيب
وأنا في آخر مقعد بالجرّار
أجلس على بساطٍ من جلد خروف وفير الوبر
إشترته جدّتي من راعي قريتنا الذي كبر كرشه كثيراً
كي تصلي عليه
راعي قريتنا المسالم كالماء المنساب على الصخر
يتهم ذئاب قريتنا الوديعة مراراً
كلما سها القمر عن إحصاء أغنام قريتنا

أصفر جدا

وديعا كضفدع يقفز في مستنقع
لا يهمله كل الوحل
كنتُ أَلعبُ الكرة حين مرَّ الجراد على حقلنا
وكانت كرتي دوليَّة منفوخة جدا
إشتريتها بعد إيرادات محصول عامنا السابق
كان حقلنا أصفر
أصفر جدا
في وسطه شجرة خضراء
حلواً كحقائب البنات الملونة في العيد
حين هجم عليه الجراد
لم أنتبه للحقل يا أبي
كما إني أضعتُ كرتي التي كنت أركض خلفها
والتي كانت منفوخة جدا
في بئر جارنا الخاوي
بئر أسود جدا
يجاور حقلنا الطازج كـرغيفٍ خرج لتوّه من التتور

طفل أسود في زقاق أسود

لو أستطيعُ الآن تحريك عيني
لحرّكتُ على الفور شفّتيك
وكنستُ برمشي كل هذا الغبار الذي بيننا
لكني كطفل أضع قطعة نقوده
أطبقُ عينيه
وضع رأسه على ساعده
وجلس على الرصيف ،
ضعي يدك على كتفي وقولي لي:
"وجدتُ ما أضعته"
كي أرفع وجهي وابتسم
كطفل أسود تلمع إبتسامته وسط كل هذه العتمة

٢٠١٥ - ٦ - ١٩

ندى البرتقال

أحاول جاهداً
ولا أستطيع منحك السعادة
أصطادُ نهرًا لكِ
وأنشفه على حبل الغسيل
لكن لا أسماك تطفو في الشارع
أبدو وقتها
كقطبٍ بائسٍ أمام بحيرة مهجورة ، يراقبُ خياله
أحاول أن أزرع العشب في كل شوارعنا
كي يتعثر الحب
ويتعرق العشب
وتتعثرين أنتِ
وتسقطين في حضني
ولكن العشب متعرق بالندى
وأنتِ تخافين على فستانك الفاتح
أحاول أن أفهمك أن السعادة
أن نجلس على الرصيف
ونقشر البرتقال بأصابعنا
ويراقبنا ابن بائع الخضار

وهو يطرد الذباب عن وجهه
ويضحك
ولكنك تحبين السكاكين
ودائماً
دائماً
تجرحين ندى البرتقال
بوجهه عشب صباحاتنا

٢٠١٥ -٦ -٤

قوارب الصيادين

من أين أحضر عظاماً لكل كلاب المدينة
وأنا في جسدي ٢٠٦ عظمة وجمجمة وحيدة
جمجمة خدشوها بمفكاتهم
وهم يفكّون إطار تلك الصورة
تلك التي حدثت عنها طويلاً كي تحفظها
فأنا ذاكرتي أصبحت ضعيفة جداً كالأسماك
حتى إنني أمرّ قرب قوارب الصيادين كل يوم
وأنسى دائماً رائحة شباكهم

٢٠١٥ - ٦ - ١٩

حزین كحافلة العمال في الصباح

الصبي الذي إتمّ على نفسه كثيرا
وهو يصنع السفن والطائرات الورقية
وضعتُ الريح مهمازها
وركض يوزع الغبار على ذاكرة الأرضفة
بنفس الأقدام التي تعرق العشب من تحتها
في بلد لا تدع أحداً ينام
أصبح أولاد الشمس فيها شظايا رصاص
يصمتُ

كنهر تحوم حول طاولته الأشجار
ولكن في قلبه طحلب كثير
لا مطر

فقط مسامير تجلس بين سماره
فيتوقف السمر

حزينا كباص العمال في الصباح
يحدق في البناء العالي والفارغ
فبعضه هنا
وبعضه ما زال مختبئاً

يحمل قلبه الذي ثقل كثيرا
كقرص عباد شمس بدأ يكسر ساقه
يمضي
حرا بدون رقيب كالأحلام
يصارح حبيبته بكل شيء
وهي بردانة جدا
يحاول أن يخرج شمسا من صدره لها
ولكن لا يخرج غير
القصب
القصب الحاد

٢٨ - ٥ - ٢٠١٥

قنفذ عاري

تخليتُ عن كل أشواكي
كي لا أُنقب عجلات سيارتكِ
قال ذلك قنفذ تولّه في منتصف الطريق
لكن
لماذا مضيتِ مسرعة
تركيتيني
للتقاذفي مركبات الغرباء
وأنا بدون سلاح

٢٠١٥ -٥ -١٩

ظلي

أنا لم أتغير أبدا
ولكن تلك الشجرة التي تميل أغصانها
ينمو ظلها على ظلي
أقول لها:
لا أحب تلك الأنهار التي تبتسم حين أرميها بحجر
ولا تلك التي نمشي عليها بأرجلنا الحافية
فينمو الطين فيها أكثر وأكثر
تنور علي فيختفي ظلي
أبحث عن أسوارٍ شامخة
تلك التي صرختُ في وجه قصوري
ولم اكتشفها إلا حين أشعلتُ عود ثقاب قمري
أعود إليك
ولكن
بعد أن قطعوا الشجرة التي في طريقي
كيف أمشي
وأقول لهم أنها كانت ظلي

النهر الحافي

في قلوبكم ها أنا ذا أكبر بسرعة
كرجل يساعد عجوزا في عبور الشارع
كبطل في فيلم
كعتمة نقية
كرصاصة طائشة
قال ذلك النهر الجاري
الذي كان ينقل البضائع على ظهره المتعب
كان وجهه نقيا حين كانت تحدد به الحسنات
لماذا كل تلك السدود مع أنه لم يُغرق شجرة
ولم يمدّ يده إلى ثمرة
لم يكن نائرا يوما بسبب الشتاء
ولكن كانت هناك
هناك
شجرة عارية
فخلع حذاءه وركض عاريا إليها
كي لا تسير على جسده جث الأشجار

كي ييني جسرا إلى كل تلك الأشجار العارية
ويكبر أكثر في قلوبهم

٢٠١٥ - ٥ - ١٠

كيس بوشار

كعاشقين فقيرين نمضي
لا يملكان بالدنيا سوى كيس بوشار
وحقيبة يد حاوية
ولكن لهما كل الطريق
أضع يدي على كتفها وأقول لها :
قطيع الأمنيات الذي نرسله
لا يعود إلا وآثار الأضاحي على ثيابنا البيضاء
تبكي..
أقربها من صدري كعاشقين فقيرين
نفذ حتى كيس بوشارهما
لكن ما زال الباعة في الطريق
ما زال لهما
ما زال كل الطريق

صورة بدون ظل

أريد أن أتصور صورة عادية جدا
كفلاح بين حقل من سنابل القمح الخضراء
كقروي يتصور قرب حائط في المدينة
كمراهق يضع نظارة شمسية أمام سيارة فارهة
أريد أن أتصور صورة عادية جدا
أظهرني كما أنا بالأبيض والأسود
ولا تُظهر ظلِّي
وأنا أراقب كل ألوان العالم

٢٥ - ٤ - ٢٠١٥

عناوين الليل

لا أبداً لم يجف حبره

لكنه ملّ

لا يذهب إلى الحديقة

ولا إلى السينما

فقط يذهب إلى العمل

ويعود من العمل

ملّ جداً

كأي صحافي يكتب عن جرائم هذا العالم

ولكنه أبداً لا يجد صورته في عناوين الصباح

عصفورة تقف على خنجر

كل الخناجر في خصرِكَ لا تؤمِّكَ
إلا حين تقفين عليها يا عصفورتي
عصفورتي التي رويتها من قنينة مائي
التي لم أشرب منها بعد

٢٠١٥ -٤ -١٥

عندما أقفز إلى القمر

أخبئ في جيبى كل الحصى التي رميتني بها
كما كانت أمي تخبئ في حقيبتها القديمة كل المناديل
تلك التي طرّزتها
ولا تخرجها إلا في أعراسنا المؤجلة
تخبئها ولا تخبئ أبدا صوت حزنها
أربي النحل حولي
كي تغني كل الأزهار على ضفافك
كي تقف كل عصافيرك على وتري
وتغادر أسلاك الكهرباء
في أيامنا الجميلة
أيامنا التي هربت حافية من حارس الغابة
حين تموت أحلام القمر
ونحن قادمون مع ظل الشتاء
كما تموت الكثير من أحلامي
تلك التي دفنت الكثير منها في وسادتي
لا أتوقف عن النوم
أزرع الورود على كل تلك المقابر

كي أصنع إكليلاً حول عنق القمر
فقط عندما أقفز إلى القمر
ممدداً في نهرك
متلذذاً بحصاكِ
وبكل ما يجلب لي شعور الغرق

٢٠١٥ -٤ -٨

قطط الطريق

فقدتَ كل شيء أيها العصفور
حتى تلك الورقة الخضراء
التي انتشلتها من شجرة بريئة
سقطت من منقارك
حين نادتك قطط الطريق

٢٠١٥ -٤ -١

عصفور على عمود إنارة

يراقب كل ما يجري
ويعرف جيدا أن المجرمين لا ينظرون إلى أعلى
زهرة نزعته الريح تدور
وتدور
تلتقطها يدا طفلة
تضعها على ضفائرها
أرض لا تصلح للخضار ولا للفواكه
تفتح قلبها المبلول للجبث
يراقب النهر حين كان بريئا جدا
قبل أن يفكر أن الأشجار العارية ستحوه لغول كبير
عندما ينمو الفرو على جسده
كي يخفي بياض قلبه
عصفور على عمود إنارة
يراقب إسفنجا التقطه الصيادون من البحر
لم يعد يمتص شيئا
فقط يشتاق للمغاسل
ليغسل ما تبقى من الأوساخ

يراقب جسدا محموما تعب من أرجل البحر
ويتسابق مع قدم باردة
نست عكازها تحت ظل شجرة
في صيف لم يكن فيه صلاة على جنازة البحر
ولا وعول جائعة كي تلاحقها الذئاب
كل ما يفعله يشعل الغابة
كي يبني المزيد من بيوت النمل
عصفور متعب يراقب العشب ابن الزنا
بدون تعب يمتد
وهو لا يغطي حتى صلعة صخرة
عصفور على عمود إنارة
يراقب البرق حين تصرخ الشمس من قطيع الوحوش
الضوء الذي يقترب كثيرا من سلك عمود كهرباء

٢٠١٥ -٣ -٢٨

حقيبتها

حقيبتك الجلدية التي تخبئين فيها
مرآتك وعلبة مكياجك
وأشياء أخرى
معطفك الفرو الذي يغطي
كلها أصبحت هكذا
حين انسلخت عن الحيوان الذي بداخلها
تعالى دثري جلدي العاري
وخبئي أيامي العارية قرب قلم كحلتك
فقط عندما تتركين في الغابة
حارسها الذي يسكنك

٢٣ - ٣ - ٢٠١٥

شجرة اللوز

لم تكن شجرة اللوز وحدها في فناء الدار
كان عليها أرجوحة أيضاً
بعد برد شديد وحفلة الفأس
ركضتُ إلى أبي والدخان يملأ رثتي
حين كنت مدخنا سلبيا
امتلاً الصوت أكثر بالدخان
وبضحكة جدتي
جدتي التي لا أسنان لها ولا تحب اللوز
قيدتُ بحبل الأرجوحة أيدي كل الأطفال
عندما تمرّ كل مرة صحون اللوز الحامض

طفل مشاغب

لا تحطّ عسافيري إلا على أغصانك
وأنت دائماً تصويين بندقيتك نحوها
لم يبقَ منها إلا عش صغير
يقترّب منه طفل مشاغب
ربّما يراقب من شجرتك
كل العسافير الغريبة
وأشياء أخرى
ربما يرميها
أو يصب عليها بحجره

٢٠١٥ - ٣ - ٥

مصارع رغما عنه

ينازل كل خصومه من حلبة إلى أخرى
ويخسر
لا ييأس
يقف عند الضخم
ويواجه العملاق
لا يئن من الضربات ولا يمل
المصارع الجميل رغم ضعفه وقصر قامته
ينازل كل خصومه
ويخسر دائماً
إلا أنه يفرح جداً
حين يعلم أنك تلصقين صورته على جدار غرفتك

إضاءة ظل

أنا الذي يخرب كل صورة
تحتارون بي كي تمسحوني ببرامجكم
أنا ظلُّكم الجميل
تخفونه بإضاءة تعمي عيونكم

٢٠١٥ -٣ -٧

سجادة صلاة

بعيدا عن كل تلك الوجوه
أصبح وجهك عاريا تماما
لم تعد تسلخ الأفاعي
ولا جلود النمر الدافئة تغريك
كل ما تفعله تدبغ جلدك
وتعلقه على الجدار كأى سجادة
كي تصلي عليه
حين تعود من بين كل تلك الوجوه

لا أحد يسرقني

أيتها الحقيبة وأنتِ تخبئين المرأة
لا وجه لي فيها
فقط ظلٌ ظلٌ يقفز
حتى سُئِق عليه ألف ضوء
أيتها البلاد الحزينة لا سواعد طيبة تبني جدرانك
ولا عيون موحلة تبردين فيها ماء عطشك
لا شيء نتكئ عليه
كل جدرانك ينقصها الحديد
ولا مؤسسة مياه نعتمد عليها لنغتسل بها
لا كلاب تتبح عند أقدام الغريب
فقط تنهش لحمنا
وحين تشبع تخبئ عظامنا في حفرة صغيرة
أيتها البلاد المفتوحة للألم
كدكان ألعاب مهجور
لصوص الأزهار الحلوين جفت حدائقهم
ولا خياطين يفصلون ثياب العيد
توزعين علينا نويات الزيتون
كي نصنع منها مسابحا

وندعو بها لمن أكل زيتونا
كنا جدا طيبين
وأنتِ تمدين جسورك الحديدية على أنهارنا الصافية
نبعد عنك كل الحمصى
ونغسل أقدامك كلما توحلت في الطين
وحين تتوقف سياراتك من المشي على صدورنا
نحكى عن جدي حين كان يصطاد العصافير
كان الطعام شهيا
ولكن لماذا وأنا أفتش بندقيته
بعد موت كبير ووجبات كبيرة
لم يكن في بندقيته مخزن رصاص
كنا حلوين
نرسل المكاتيب بالحمام الزاجل
ومنذ أن أصبح الأبيض منتشرًا جدا
كمدينة تنشر الثياب البيضاء على شرفاتها
كثوب أبيض اندلقت عليه القهوة
قرأ صيادوك رسائلنا
وأرسلوا لنا على أقدام البجع فضائحك
حين نثرت أوراق الريح كل طائراتنا الورقية
أيتها البلاد البريئة كصورة ممثلة على غلاف مجلة فضائح
لم تكوني يوما أمّا تنظفين أظافرنا من الغبار
أو أبا يحتضننا حين تنقطع الكهرباء

رمىتُ أناي
عندما كانت كل ينابيعك النرجسية لا تراني
فقط عندما بكيتُ عند أول ينبوع أغرقتني
لا بأس
أيتها البلاد الكبيرة كقبر قديم جدا
ها نحن ذا نبيع أكفاننا كي نرمم ما بقي من حجارتك
أمدّ لك يدي حتى لو سرقتِ قلّمي
لا لشيء
ولكن منذ زمن لم يعد هناك ما يسرقني

٢٥ - ٢ - ٢٠١٥

جولة غاباوية

للأمسيات الكبيرة ومنها هذه الأمسية
أقف كناي صنعه نجار كي يغني
علّقوه على الجدار
ليكمل ما نقص من الصور
جمع كل الذئاب وسور قميصه حولها
كي يفّر إخوته
أطفأ عرق أبيهم النور
طرق أبواباً كثيرة في هذه الأمسيات الكبيرة
ولم يقرأ ما عليها من عناوين وأرقام
كي لا يصبح التراب منديل المطر
كي لا يتوسخ حذاؤه الطويل
وهو متأنق في طريقه إلى الغابة
في الأمسيات الكبيرة ومنها هذه الأمسية
عندما أكون طفلاً افعلي ما تشائين
وليفعل الغاباويون ما يشاؤون
عندها لا أفهم إلا لغة الدمى
لا أفقه إلا ما يؤنسنني
أقف كسنجاب أضع غابته

يرعب نساء الطريق
فيصطاده بئع "يا نصيب"
ويحتال به على من يبحث عن الحظ
كي يلتقط للغابويين أمسيات كبيرة

٢٠ - ٢ - ٢٠١٥

ناي مرمي على ضفة النهر

فقط تثقين حنجرتي كلما غنى أحد عنك
كناي مرمي على ضفة النهر
وغاب راعيه

٢٠١٥ -٢ -١٨

صائد الظلال

أمضي إليّ
أنا عابر سبيل صدّيان
وعن يديه العصا غائبة
وكل الجبال تقف أمامي
ردّ لي يدي البيضاء
كي أعيّد مَنْ في قلبي قُتلوا
أو أزرع من أوصالي شجرا
كي أنقذ من الطوفان ما بقي
زرني كما كنتُ نبياً
أو رُدّني كما كنتُ ترايا
أمضي بينكم هنا بكل ما فيّ
وحدها روحي المنفية
خذ عني ينبوعاً صدئاً من الشفاه
ورُدّ لي غيماً بقي نقياً
رد لي يوماً كنت أسقي الورد فينسج الرحيق
وخذ عني كل هذا الحطب
يكفيننا ما أوقدناه من حريق

أنا صائد الظلال
مذ كانت الشمس ظلًّا
مذ كانت كل الظلال أطول منِّي

٢ - ١ - ٢٠١٥

علام البكاء ؟

علام البكاءُ صديقي علامَ
زهورٌ ستنمو قريباً
ولو لم يحطَّ السحابُ الرِّحانُ
وإنْ لا يجيء الصبَّاحُ غداةَ الليالي
هلالٌ سيمحو سوادَ الظلالِ

علامَ البكاءُ زميلي علامَ
سيجلو هدوءاً

مخيفاً ثغاءُ الخرافِ
وعشبٌ نديٌّ يفوحُ العبيرِ
يقولُ الحياةَ جمالَ عفافِ
تراها بحسنِ القرى

تغني

تغني بسحرِ الضفافِ

علامَ البكاءُ رفيقي علامَ
صهيلُ الحصانِ يفضُّ الغبارَ
يحيي الحياةَ قوياً قبولا

فيأبى غروباً
ضعيفاً محالً
قدمنا ضيوفاً قضينا إجازة
فمنّا المنارة
ومنّا الستارة
ويبقى على رمشِ بدرٍ كحيلُ الجمالِ
وقنديلِ زيتِ سيجلي سوادِ الظلالِ
إذا كنتَ تدري
سيأتي صديقي
سيأتي المنالُ

علامَ البكاءِ نديمي علامَ
فهذي الحياةُ غناءً
دعونا نغني بدونِ الضبابِ
مواعيدُ حزنٍ ستمضي بنهرِ الدموعِ
بذورٌ ستمو جذوراً فأخشابُ
جذورٌ ستعطي فيافٍ رضابُ
ويا أصدقائي سيأتي الشهرُ
بورِدٍ و زهرِ
على ضفةِ النهرِ
ويأتي
ضياءً بديعٍ بصبحٍ وديعِ

وحتى إذا استطال الدهرُ

لنا في الطريقِ بابٌ وبابٌ

علامَ البكاءِ شقيقي علامَ

عشيقُ سيلقى خليله

بنهر الهوى فيصحو الغريقُ

وماءٌ ستقضي على النارِ إن استعرتُ

وإن لا

ترابٌ يغطي الحريقُ

خرافٌ عجافٌ ونبدُ الحياة

فليستُ سوى للذئابِ غذاءُ

سماً كساها وشاحُ الغراب

وغابَ الضياءُ

فطيرٌ إليها سلامَ الحمامِ

سنونٌ ستأتي إذا كنتَ تدري

فهدهدُ إليها أغاني أمك

واخبزُ قمحكَ وامضِ

فما للجرادِ ختامُ

علامَ البكاءِ حفيدي علامَ

أنا راحلٌ فوقَ غيم

وراءَ الجبالِ

تذكرُ غنائِي
متى بانَ في الغيمِ برقُ
وأكملُ غنائِي بطيبِ الكلامِ
تراني على الغصنِ بين البراعمِ
هلالاً يراقبُ
وأطبقُ جفوناً تراني وميضَ العيونِ
إذا ما وددتَ لقاءً يُطالُ

علامَ البكاءِ بنيَّ علامَ
ففي الصيفِ تملأُ الأراضيَ ذهبُ
ويغدو حصادُ سوارِ البقاغِ
زمانٌ سيمضي ببسمٍ ودمعِ
فكن منها أنتَ الشجاعُ
وداعاً.. بنيَّ.. وداعاً..
فما للردى أيَّ قبرٍ وما منُ جنازةِ
سلاماً أقولُ
عليكَ السلام

مجالس العدم

1

وأنا طفل
كان أبي ينهني في مجلسه
كلما قلتُ إنني أستطيع تنظيف النهر
بملاعقي الصغيرة
كما معلمتي في المدرسة
توقمني عند الحائط معاقبا
كلما نظرت من النافذة
وسحبتُ الشمس من ياقتها
وحتى حتى حبيبي
كلما أردتُ الكلام تسكتني بقبلة
وهكذا هكذا
تحوّلت أصابعي إلى سكاكين

2

وهكذا حين يرى الليل أن جدار شرفتي واطئ
يقفز إلي
لأعود حزينا وأبكي منكسراً

كتوت متساقط تحت شجرة
لا تدوسي على قلبي
ولا تفتحي الباب للجيران
لا أحب مناديل الغرباء
اقفزي فوق جدراني
كطالب يقفز من فوق سور مدرسته
ويرمي أولاً حقيبته
ابتسمي في وجهي
واسردي لي عن مغامراتي المجنونة
وغني لي تلك الأغاني التي يحبها أبي

3

ما زال الحديث في مجالس أبي
عن الأرصفة والشوارع
حين تستند على أكتافها الكتب
والحديث به شجون كلما ابتل جفن الليل بالأنداء
ومرّت كؤوس الشاي
ينتهز أبي الفرصة ليمسح نظارته
ويلعلق أحدهم لا شيء مثل النساء في الشتاء
وضيوف أبي من الكبار الذين يعشقون العدم
وحين يطيل الحديث عن الموت يتشهدون
ويشعلون سيجارة عندما يتوقف أبي عن سرد الحكايات

تلك التي عن ظلال الجدران المتهالكة في القرى
حين تنبذ القرية الحياة
ويموت العجائز تحتها تماما كما مات جدِّي
يغمس أبي خبزَه في الشاي الأسود
وتضيئُ عيناه كفانوس قديم
يشير إلى المداخن القديمة
ويقول إنها كفا رجل فقير يتضرع إلى السماء
طالباً الخبز
وعندما يطير القمر في السماء
يصنع أبي مدرجا فوق سطح الدار
عندها يقول أصدقاؤه الحياة مليئة بالألوان
ولكن كثيرا كثيرا ما يغلِقون أعينهم باكراً
في مجالس أبي الكثيرة
كثيرا ما تقترب السحابات الكبيرة في النهارات الصافية
من الصخر
ولكن أبداً أبداً لا تلبسه

4

وَأنتَ هناك وحيداً وضُبتَ حقائبك
وهي بعض أبيك
لا تنظر إلى السماء كثيرا
ولا إلى ما يقال عنه مطر

أخاف عليك يا صديقي وأنت في قبرك
أن تنمو الزهور طويلاً
وأعرف جيداً أنك تعاني من نوبات الربو

5

لا أحتاج سكيناً كي أقشر لك كل هذا التفاح
أصابعي تكفي

6

كلما أمر قرب الغبار أسعل
والغبار حولنا كثيف
أهداني صديقي فراشة كي اعتاد على الغبار
ومنذ ذلك اليوم وأنا أنفضه عن جناحيها
وأتساءل لماذا لا تطير؟

٢٠١٧ -٦ -١

سكاكين أليفة

1

وأنتِ تخرجين عصافيري من أقفاصك
ينمو على خديك التفاح
وأنا أرمي أحجاري وأقول عصافيري
أمّر أصابعي على كل تلك الثمار
أصابعي التي كثيرا ما تكون سكاكين أليفة

2

أحبُّ لشغتك تلك
وأنتِ تلفظين كلمة حرب كاسم مدينتي
يصعد الحب عندها طفلا نائراً
على أكتاف المارة في الطريق

3

الجدران في غرفتي ليست أربعة
كثيرة
لو كان الأمر بيدي
حتماً سأجلس في حقل كبير
أعتمر قبعة من القش وألبس معطفا قديماً

كفزاعة وحيدة
لا يحركه سوى الهواء
ولا جدار يتكئ عليه
عندها أضحك.. أضحك طويلاً
على كل الطيور التي تبحث عن جدران قصيرة في هذا الحقل
الكبير

2

أنا مرتاح جداً يا صديقي
لا أم لي هنا تقول لي ارم كيس القمامة وأنت خارج
ولا زوجة تذكرني بقائمة مشتريات المنزل
وفي الليل أيضاً أتحرّك على راحتي
فلا أتسلل على أطراف أصابعي بخفة كي لا يستيقظ النائمون
أنا مرتاح جداً يا صديقي
تماماً كعشب يستلقي على مقبرة

3

يقول لي شاعرٌ مللت
وأقول له أنا مثلك
تقترب منه فتاة وتأخذ معه صورة
كأي صورة أمام قلعة كبيرة
تحوّلت إلى سجن في مدينة كبيرة

4

هكذا عندما يغادر الضيوف بعد مساء فخم
وتتطفئ أضواء الشارع
لا تجلس على الشرفة
أشعل تلك الأغنية التي أشعلتها بلهفة
قبل أن يشتعل الغبار على سجّاد غرفتك

5

قلبك الجميل كمطار داخلي
لا تسألين عن جواز سفري
ولا أضطر لإخراج محفظتي ولا أخلع به ساعتى
لذا أمرّ به بكل الحديد الذي أحمله
وأيضاً بالسكاكين...

6

في الحانة الكثير من الزجاج
ونساء حافيات
حنين الزجاج للإنكسارات
لا يصبح الكأس كأساً إلا بنزيفهن
في الحانة تنظر إليك النساء كوحش جريح وفريسة ملائمة
وأنت تنظر إليهن نصاً جديداً وحاداً
كهذا ، ، ، ...

7

أحبك وأتمسك بك
كما تتمسك أصابع الفقير بأجرة الحافلة

8

لا شيء يوحدنا في هذا العالم سوى الحزن
مثل مبنى مظلم لدار الأيتام في الليل

٢ - ٥ - ٢٠١٧

الفهرس